

التبيان في تفسير القرآن

(41) خلقه فيمكن أن يكون المراد بالاية من ذكرناه. وقال ابو جعفر (عليه السلام) وقتادة وابن جريج: الاية في أمة محمد (صلى الله عليه وآله) وهو مثل قوله تعالى " وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا " (1) فكما أنه لا يدل على وجود أئمة في كل وقت فكذلك ما قالوه. قوله تعالى: والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون (181) وأملى لهم إن كيدي متين (182) آيتان المعنى إن الذين كذبوا بآيات الله التي تضمنها القرآن والمعجزات الدالة على صدق النبي (صلى الله عليه وآله) وكفروا بها سنستدرجهم من حيث لا يعلمون استدراجا لهم إلى الهلكة حتى يقعوا فيها بغتة من حيث لا يعلمون، كما قال تعالى " بل تأتيهم بغتة فتبهمهم فلا يستطيعون ردها " (2) وقال: " فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون " (3) فيقولوا هل نحن منظرون؟ ويجوز أن يكون من عذاب الآخرة. فأما من قال من المجبرة: إن معنى الاية أن الله يستدرجهم إلى الكفر والضلال فباطل، لأن الله تعالى لا يفعل ذلك لأنه قبيح يناقض الحكمة، ثم إن الاية بخلاف ذلك لأنه بين أن هؤلاء الذين يستدرجهم كفار بالله ورسوله وبآياته، وأنه سيستدرجهم في المستقبل لأن السين لا تدخل إلا على المستقبل فلا معنى لقوله " إن الذين كفروا سنستدرجهم " إلى الكفر، لأنهم كفار قبل ذلك، ولا يجب في الكافر أن يبقى حتى يواقع كفر آخر، لأنه يجوز أن يميته الله تعالى، فبان بذلك أن المراد أنه سيستدرجهم إلى العذاب والعقوبات من حيث لا يعلمون في مستقبل أمرهم بقوا أو لم يبقوا. على أن الاستدراج عقوبة من الله ولا يعاقب أحدا على فعل نفسه كما لا يعاقبهم _____ (1) سورة 21 الانبياء آية 73 (2) سورة 21 الانبياء آية 40 (3) سورة 26 الشعراء آية 202 (*)